

الندوة الدولية "القدس: التاريخ والمستقبل" (٢٩-٣٠ أكتوبر ١٩٩٦م)

مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط

هيكل سليمان ... بين النصوص العربية والتوراتية

دكتور سعيد سيد أحمد أبو زيد

مدرس التاريخ الإسلامى - كلية الآداب - جامعة المنوفية

تمهيد

جاء يعقوب - عليه السلام - وبنوه إلى مصر، ليعيشوا بجوار يوسف - عليه السلام - وقد سكنوا أرض جاسان (القفطرة)^١، فلما توفى يعقوب بمصر كان قد أوصى أن يدفن عند أبيه، فطلب يوسف من فرعون حمله إلى فلسطين، فحملوه ودفن بمقبرة آبائه، ورجع يوسف إلى مصر وأقام بها حتى توفى بعد عمر بلغ مائة وعشرين سنة، ودفن بمصر، وكان قد أوصى أن يحملوه معهم إذا خرجوا إلى الأرض المقدسة^٢.

وما تذكره المصادر العربية حول موت يعقوب ويوسف هو ملخص للإصحاح الخمسين من سفر التكوين، وإن كان ابن خلدون قد ذكر خروجهم إلى "أرض الميعاد وهي الأرض المقدسة"^٣، تحديداً وتوضيحاً لما جاء فى التوراة فى سفر التكوين وقال يوسف لأخوته أنا أموت ولكن الله سيفتدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التى خلف

^١ سفر التكوين ٤٧، ٢٧ .

^٢ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٢٠، ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ج ٢، ق ١، مؤسسات جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٨١، السيوطى: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق ٢، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م، ص ٨.

^٣ ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

لإبراهيم وإسحاق ويعقوب^٤ وتؤكد التوراة أن يوسف قد مات عن عمر يبلغ ١١٠ أعوام عكس ما يقول ابن خلدون إنه عاش ١٢٠ عاماً، فنقول "ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه ووضع في تابوت في مصر"^٥.

وفي مصر، كان مولد موسى - عليه السلام - ابن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب^٦، فلما جاء الوحى إلى موسى، وبلغ رسالة ربه إلى فرعون، فكذبه واشتد ظلمه لبنى إسرائيل، أوحى الله إلى موسى، بخروج بنى إسرائيل من مصر، فخرجوا وقد حملوا معهم تابوت يوسف، واستقروا بسيناء، وعلى جبل الطور، كلم الله موسى وكانت المعجزات المتتابعة ونزول الألواح^٧.

والقرآن الكريم يذكر كل ذلك فى سورة البقرة (آيات ٤٩، ٥٠، ٥١) والأعراف (آية ١٣٨)، كما تذكره التوراة فى تفاصيل سفر الخروج، وعندما ذهب موسى إلى الجبل للتعبّد، فأبطأ، اجتمع شعبه من بنى إسرائيل بهارون أخيه، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم، فجمعوا منهم الذهب وجاءوا به إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالزئمل وصنعه عاجاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر^٨، التوراة هنا تخالف ما جاء فى القرآن الكريم، إذ تجعل من هارون صانعاً للتماثيل كى يعبدها بنو إسرائيل، بينما القرآن الكريم ينزه هارون عن ذلك، ويذكر شخصاً آخر هو الذى فتن بنى إسرائيل يعرف بالسامرى فيقول الله تعالى: " **قال قابا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى**"^٩.

^٤ سفر التكوين ٢٤:٥٠.

^٥ سفر التكوين ٢٦:٥٠.

^٦ ابن خلدون: العبر، ج٢ ق٤٤٦ ص ٨٣.

^٧ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص ٤٧٥ ابن خلدون: نفس المصدر، ص ٨٢، ٨٣.

^٨ سفر الخروج ٤:٣٢.

^٩ سورة طه: ٨٥.

تابوت العهد

غضب الله على بنى إسرائيل، ونزل موسى من الجبل وفى يده لوحا الشهادة" ..
لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله،
والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين"^{١٠}، فلما اقترب موسى من محلة قومه وسمع
غناءهم وأبصر العجل والرقص" .. فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه
وكسرها فى أسفل الجبل"^{١١}، وقام بحرق العجل، ثم طلب منه الله نحت لوحين آخرين "
ثم قال الرب موسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين، فأكتب أنا على اللوحين
الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتها"^{١٢}، والقرآن الكريم يؤيد ما جاء
فى التوراة بخصوص ذلك فيقول الله تعالى: " ولما سكّت عن موسى الغضب أخذ الألواح
وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون " ^{١٣}

صعد موسى إلى الجبل وكتب عهد الرب معه ومع إسرائيل "فكتب على اللوحين
كلمات العهد، الكلمات العشر"^{١٤}، وما كتب فى الألواح يذكره الله تعالى بقوله: " وكتبنا
له فى الألواح من كل شئ موعظةً وتفصيلاً لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك ياخذوها بأحسانها
سأوريكم دار الفاسقين " ^{١٥} . ويعدد لنا ابن خلدون هذه الكلمات العشر فى "كلمة
التوحيد، والمحافظة على السبت بترك الأعمال فيه، وبر الوالدين ليطول العمر، والنهى
عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، ولا تمتد عين إلى بيت صاحبه أو امرأته أو
لشئ من متاعه، هذه الكلمات العشر تضمنتها الألواح"^{١٦}

وهذه الوصايا التى أجملها ابن خلدون جاءت فى سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، ٢١،
٢٢، ٢٣، ومع موسى فى أرض سيناء، تتحدد النواة الأولى لتابوت العهد، الذى سيحوى

^{١٠} سفر الخروج ٣٢: ١٥-١٦.

^{١١} سفر الخروج ٣٢: ١٩، وانظر، أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٧٣.

^{١٢} سفر الخروج: ١: ٣٤.

^{١٣} سورة الأعراف: ١٥٤.

^{١٤} سفر الخروج ٢٨: ٣٤.

^{١٥} سورة الأعراف: ١٤٥.

^{١٦} ابن خلدون: العبر، ج٢ ق ١، ص ٣٨، وانظر، أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ص ٧٥-٧٦.

ألواح موسى، ويقدر بنو إسرائيل قدسيته، فيحملونه طوال عهدهم أينما ذهبوا، ويحافظون عليه بداخل هيكلهم، ذلك الهيكل الذي وضحت معالمه الأولى أيضاً في سيناء، فقد أعطى الله موسى لوحى العهد، وطلب منه صناعة تابوت توضع فيه هذه الشهادة، وقد جاءت التوراة بوصف دقيق لهذا التابوت وبعض الملحقات الأخرى مثل "المائدة والمنارة، والمسكن، والمذبح، ليكون كل ذلك في خيمة الاجتماع، الذى أمر الله موسى بإقامتها في سيناء لعبادته، وقد حدد الله لموسى أوصاف خيمة الاجتماع ومقاييسها، كما أورد بياناً مفصلاً بمحتوياتها والمواد التى ينبغى استخدامها فى صنعائها والأجزاء التى تتكون منها باعتبار أنها ينبغى أن تكون ملائمة للصحراء، وأن تكون قابلة للتركيب وللفك والتركيب لنقلها من موضع إلى آخر، وإقامتها حيثما يذهب اليهود فى ترحالهم المستمر"^{١٧}.

هذه الخيمة وما احتوت هى هيكلهم الأول، الذى يؤدون فيه عبادتهم، وفيها يسكن الرب فنقول التوراة "فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم"^{١٨}، وابن كثير يشير إلى هذه الخيمة مؤكداً أن ما يقوله قاله أهل الكتاب فيقول: "قال أهل الكتاب وقد أمر الله موسى - عليه السلام - بعمل قبة من خشب الشمشاز وجلود الأنعام وشعر الأغنام، وأمر بزینتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كیفیات مفصلة عند أهل الكتاب"^{١٩}.

تقول التوراة عن التابوت "فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقى، من الداخل ومن الخارج تغشيه، وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه، تسبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها على قوائمه الأربع، على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان، وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ليحمل التابوت بهما، تبقى العصوان فى حلقات التابوت لا تنزعان منها، وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك، وتصنع غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبيين من ذهب، صنعة خراط تصنعهما فى طرفى الغطاء، فأضع كروباً واحداً على الطرف من هنا، وكروباً آخر على الطرف من هناك،

^{١٧} زكى شنودة: المجتمع اليهودى، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ص ١٦٤.

^{١٨} سفر الخروج: ٨:٢٥.

^{١٩} ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٣٠٧.

ومن الغطاء تصنعون الكرويين على طرفيه، ويكون الكروبان باسطى أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر، نحو الغطاء يكون وجها الكرويين، وتجعل الغطاء على التابوت من فوق وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك، وأنا اجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكرويين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل".^{٢٠}

وإلى جانب هذا التابوت، أمر الله موسى بصنعه مائدة من خشب السنط ومغشاة بالذهب، وكذلك منارة من ذهب نقى، ومذبح للذبايح من خشب السنط ومغشى بالنحاس، ومذبح لإيقاد البخور مغشى بالذهب، وبعد كل ما جاء من تفاصيل حول ذلك تجمل التوراة هذه الأشياء فى "... وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك، خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والغطاء الذى عليه، وكل آنية الخيمة، والمائدة وآنياتها، والمنارة الطاهرة وكل آنياتها، ومذبح البخور، ومذبح المحرقة وكل آنيته والمرحضة وقاعدتها، والثياب المنسوجة والثياب المقدسة لهارون الكاهن وثياب بنيه للكهانة، ودهن المسحة والبخور العطر للمقدس حسب كل ما أمرتك به يصنعون".^{٢١}

وكل هذه التفاصيل التى ذكرتها التوراة، جاء بها ابن خلدون بما يتفق والتوراة^{٢٢}، وقد حرص اليهود على تابوت العهد، فهو الذى يحوى الكلمات العشر، وهو التابوت الذى يكلم الله موسى من فوقه، وهو التابوت الذى يبين لهم ما هم مقبلون عليه، ويكشف لهم ما لا يرونه، وفيه السكينة وبقية ما ترك موسى وهارون، لذلك كانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، وكانوا إذا اختلفوا فى شئ، تحاكموا إليه فيكلمهم ويحكم بينهم، وكانوا إذا خرجوا لقتال يقدمونه بين أيديهم.^{٢٣}

^{٢٠} سفر الخروج ٢٥: ١٠-٢٢.

^{٢١} سفر الخروج ٣١: ٦-١١.

^{٢٢} ابن خلدون: العبر، ج٢، ق١، ص ٨٤.

^{٢٣} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٩م، ص ٤٦٤، الجمل: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ج١، مطبعة عيسى البابى الحلبي، ص ٢٠١.

وكما حافظوا على هذا التابوت، حافظوا أيضاً على خيمة الاجتماع، معبدهم فى كل رحلاتهم، فعندما عبروا صحراء سيناء بعد أن مات موسى، ولم يعرف له قبر^{٢٤} وصلوا إلى أرض كنعان فاستقرت خيمة الاجتماع فى "الجلجال"، حتى إذا تغلغل اليهود فى أرض كنعان نقلوا الخيمة إلى "شيلوه"، فبقيت هناك مدة تتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ سنة، ثم نقلوها بعد ذلك إلى "توب" ثم نقلها داود إلى "جبعون"، فلما أتم سليمان بناء هيكل أورشليم نقل الخيمة مع كل أثاثاتها وأنيبتها إلى أورشليم^{٢٥}.

ارتحل اليهود فى فلسطين، حيث خرج بهم من التبة يشوع بن نون - عليه السلام -^{٢٦}، ووقع الصدام بينهم وبين الفلسطينيين سكان هذه الأرض، واستطاع الفلسطينيون تحقيق النصر على اليهود، وتقدم التوراة سرداً تاريخياً لهذا الصدام، وفى سفر صموئيل الأول "فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربة عظيمة جداً، وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل"^{٢٧} فما كان من بنى إسرائيل إلا أن هربوا إلى تابوت الله لينقذهم، لكن الفلسطينيين استولوا على تابوت الرب، ورحلوا به إلى أشدود، ووضعوه مع التماثيل^{٢٨}، وظل التابوت فى بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر^{٢٩} لم تهنأ فيها أرضهم، حيث حل بهم غضب الرب، كما يروى سفر صموئيل الأول، وأمام ذلك اجتمع شيوخ فلسطين وأقطابهم وقرروا عودة التابوت إلى اليهود فأخذوا " .. بقرتين مرضعتين وربطوهما إلى العجلة وحبسوا ولديها فى البيت، ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق وفيران الذهب وتماثيل بواسيرهم"^{٣٠}، وفرح الإسرائيليون بعودة التابوت، وطلب منهم نبيهم صموئيل التخلص من الآلهة وعبادة الرب وحده قائلاً:

^{٢٤} السبوتى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص ١٢٧.

^{٢٥} زكى ثنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٧١.

^{٢٦} ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٣٢٣.

^{٢٧} سفر صموئيل الأول ٤: ١٠.

^{٢٨} الطبرى: تاريخ الرسل الملوك، ج١، ص ٤٧٠، ٤٧١.

^{٢٩} سفر صموئيل الأول ١: ٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص ٧.

^{٣٠} سفر صموئيل الأول ٦: ١٠-١١.

"واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين، فنزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده."^{٣١}

أذلت الملوك المجاورة لبنى إسرائيل قبائلهم، فهربوا إلى نبيهم صموئيل أو شمويل بن بالي^{٣٢} وطلبوا منه أن يجعل عليهم ملكا يقيم أمرهم ويجمع فرقته، لمواجهة الخطر المشترك، فوقع اختياره على طالوت (شاؤل) أو شاؤل بن قيس بن أبيئيل من بنى بنيامين^{٣٣}، فاستكروا هذا الاختيار فيما أورده القرآن الكريم "وقال لهم نبيهم إن الله قد بحث لكم طالوت ملكاً. قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم"^{٣٤}. ومع استنكار بنى إسرائيل لاختيار طالوت، دهش طالوت نفسه من هذا الاختيار فيقول "أما أنا بنياميني من أصغر أسباط إسرائيل، وعشيرتي أصغر كل عشائر أسباط بنيامين، فلماذا تكلمنى بمثل هذا الكلام"^{٣٥}، ولما أراد أن يقنع صموئيل بنى إسرائيل بملك طالوت، كان ما يذكره القرآن الكريم "وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمّله الملائكة، إن في ذلك آية لكم إن كنتم مؤمنين"^{٣٦}.

ويذكر لنا الطبرى وابن كثير أن السكينة عبارة عن طست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاهما الله موسى، وفيها وضع الأكواح، فأصبح التابوت وما فيه فى دار طالوت^{٣٧}، وهذا يشير إلى محتويات تابوت الرب التى قدسها بنو إسرائيل وحرصوا عليها، ومع أن اليهود نجحوا فى إقامة ملك، إلا أن تلك القبائل اليهودية لم تستطع تكوين كيان سياسى موحد له حدود محددة ونظام إدارى مركزى، وإن تم الاتفاق بالمساهمة

^{٣١} سفر صموئيل الأول ٧: ٣-٤.

^{٣٢} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٦٧.

^{٣٣} سفر صموئيل الأول ٩: ١-٢، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٧١.

^{٣٤} سورة البقرة: ٢٤٧.

^{٣٥} سفر صموئيل الأول: ٩: ٢١، الطبرى تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٧١.

^{٣٦} سورة البقرة: ٢٤٨.

^{٣٧} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٦٨، ٤٦٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص ٢.

بالرجال فى معارك الدفاع عن كيان القبائل^{٣٨} ، وتوجه طالوت لحرب جالوت، واستطاع داود قتل جالوت فى قصة تذكرها التوراة والمصادر العربية^{٣٩} ، ثم اعتلى داود بن يسي عرش إسرائيل أربعين سنة "فى حبرون ملك سبع سنين وفى أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة"^{٤٠} بعد أن قتل طالوت فى الحرب مع أولاده الثلاثة، بعد حكم دام مدة أربعين سنة^{٤١}.

أراد داود - عليه السلام - أن يجعل لملكه عاصمة يستقر بها، فتوجه إلى أورشليم أى "يبوس"، لكن أهلها صدوه فأقام عاصمة ملكه فى حصن صهيون، ولندع التوراة تؤكد ذلك فتقول: "وذهب داود وكل إسرائيل إلى يبوس، وهناك اليبوسيون سكان الأرض ، وقال سكان يبوس لداود لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود حصن صهيون، وهى مدينة داود"^{٤٢}، وإن استطاع بعد ذلك أن يزحف بجيشه المكون من ثلاثين ألف مقاتل ويسقط يبوس سنة ١٠٤٩ ق.م^{٤٣} ..

^{٣٨} أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ص ١٦٧، ١٦٨.

^{٣٩} سورة البقرة: ٢٤٩-٢٥١، سفر صموئيل، الاصحاح ١٧، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ص ٤٧٢، ٤٧٣، الجمل: الفتوحات الإلهية، ج١، ص ٢٠٤.

^{٤٠} سفر الملوك الأول ١١:٢.

^{٤١} سفر صموئيل ٦:٣١، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٧٥.

^{٤٢} سفر أخبار الأيام الأول ١١:٤-٥.

^{٤٣} فاروق عز الدين: القدس تاريخياً وجغرافياً، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م، ص ١٩-مدينة القدس: عرفت هذه المدينة بأسماء كثيرة، كان منها "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين الذين يعتبرون بناء القدس الأولين، وهم بطن من بطون العرب الأوائل نشأوا فى جنوب الجزيرة العربية ثم رحلوا الى الشمال مع القبائل الكنعانية واستوطنوا هذه المنطقة، وكان ملكهم "ملكى صادق" هو أول من اختطها وبنائها، وفى سجلات الفراعنة تسمى "يبايثى" وعرفها الكنعانيون "أورسالم" أى مدينة السلام، كما عرفها الفراعنة بهذا الاسم، ولهذا يعتبر الكثيرون أنها كنعانية الأصل، وقيل إن "أورو - سالم" بابلية الأصل، آرامية، واشتقت منها العبرية "أورشليم"، ومن أسماء هذه المدينة أيضاً، "مدينة داود" و"صهيون" وأسماء اليونانيون "بروساليم" وفى العهد الرومانى "هيروساليم"، ومن هنا أخذت الأمم الأوربية "جيروسالم"، وفى سنة ١٣٩م سماها الإمبراطور هادريانوس "إيليا كابيتولينا"، وظلت تعرف باسم "إيليا" حتى أوائل الفتح الإسلامى، كذلك من أسمائها "بيت إيل" بمعنى بيت الرب و"الأرض المباركة" و"الساورة" و"القرية" و"بيت المقدس" و"الأرض المقدسة" و"الزيتون" و"المسجد الأقصى" و"القدس" (السيوطى: إتحاف الأخصا، ق١، ص ٩٣-٩٥، الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٦٢، ١٦٣، البلاذرى: فتوح البلدان، مراجعة وتعليق، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٤٤، وانظر، فاروق عز الدين: القدس، ص ٩-١٦، زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٥، ٥٧).

بناء الهيكل

في مدينة داود، بنى داود لنفسه بيوتاً، وأراد أن يبني للرب بيتاً، لكن الله منعه من ذلك، لأنه كما تذكر التوراة سفك كثيراً من الدماء، وأن الله سيجعل ذلك في ولده "إلا أنك أنت لا تبني البيت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمى"^{٤٤}، الطبري يذكر ذلك في تفاصيل، كما يذكرها ابن خلدون^{٤٥}، ويؤكد الطبري أن داود أخذ في بناء البيت وكان ذلك - فيما قبل - لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفى قبل أن يستتم بناءه فأوصى إلى سليمان باستتمامه"^{٤٦}، ويؤكد السيوطي أيضاً أن داود "أسس قواعده، ورفع حائطه، فلما ارتفع انهزم، فقال داود - عليه السلام - يارب أمرتني أن أبني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته فقال: "يادود إنما جعلتك خليفتي في خلقي فلم أخذت المكان من صاحبه بغير ثمن؟ إنه سيبنيه رجل من ولدك"^{٤٧}، وما يذكره السيوطي هو معنى لما ورد في أخبار الأيام الأول في الإصحاح ٢١، ٢٢، وهو السفر الذي يبين جهود داود في ذلك.

سعى داود لأن يكون له يد في بناء بيت الرب، أو على الأقل يوفر كل شيء لبنائه، طالما منعه الله من البناء، وادخر ذلك لولده، وداود يدرك أن ولده صغير وضعيف ولا يمكن أن يقوم بكل ذلك وحده، فلنترك ذلك لتصفه التوراة "وأمر داود بجمع الأجنيبين الذين في أرض إسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله، وهيا داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل ونحاساً كثيراً بلا وزن، وخشب أرز لم يكن له عدد لأن الصيدانيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير إلى داود، وقال داود إن سليمان ابني صغير وغض والبيت الذي يبني للرب يكون عظيماً جداً في الاسم والمجد في جميع الأراضي فأنا أهني له، فهياً داود كثيراً قبل وفاته، ودعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبني بيتاً للرب إله إسرائيل"^{٤٨}.

^{٤٤} سفر الملوك الأول ٨:١٩.

^{٤٥} الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٨٥، ابن خلدون: العبر، ج٢، ق١، ص ٩٦.

^{٤٦} الطبري: نفس المصدر والصفحة.

^{٤٧} السيوطي: إتحاف الأخصا، ق١، ص ١١٣.

^{٤٨} سفر أخبار الأيام ٢٢:٧-٢٢.

وهكذا جهز داود لابنه كل ما يحتاجه البناء، حتى الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجارة بأنواعها الكريمة وغير الكريمة، والرخام^{٤٩}، واكتفى داود بأن أعد خيمة للعبادة كما فعل موسى من قبل وأعد مكاناً لتابوت العهد Ark of Law وجمع شيوخ بنى إسرائيل لإصعاد التابوت إلى الخيمة في عاصمته "وأدخلوا تابوت الله وثبتوه في وسط الخيمة التي نصبها داود..."^{٥٠}

اعتلى سليمان - ويدعى "שלما" في العبرية -^{٥١} العرش بعد أبيه داود الذي دفن مع آبائه في مدينة داود^{٥٢} وأمر ببناء بيت الرب وبيت لملكه، وقام بتقسيم مملكته إلى اثنتى عشرة ولاية، وكان على كل ولاية أن تزود المملكة شهراً، كما كان عليها أن تزود الدولة بالصناعات الذين لهم خبرة بأعمال البناء لأنه كان مهتماً بإقامة المعبد والقصر^{٥٣}، وأخذ يجهز لهذا العمل الضخم، حتى "...أحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحاس في الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة"^{٥٤}.

وقد قص الله تعالى نبأ سليمان وأخبر أنه ألان له الحديد وأذل له الشديد، وسخر له الجن والإنس، والسباع والبهائم والوحوش وأنواع الحيوان والرياح تجري بأمره رخاء حيث أجا^{٥٥} وهو ما تؤكد آيات القرآن الكريم "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ"^{٥٦}، "فَسَفَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ"^{٥٧}، وربما دعت هذه الآيات الكريمات السيوطي لأن يقول عن سليمان "جمع حكماء الإنس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقاً

^{٤٩} سفر أخبار الأيام الأول ٢: ٢٩.

^{٥٠} سفر أخبار الأيام الأول ١: ١٦.

^{٥١} أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ص ١٦٩.

^{٥٢} سفر الملوك الأول ٢: ١٠.

^{٥٣} عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ٦٢.

^{٥٤} سفر أخبار الأيام الثاني ١: ٢.

^{٥٥} المواردى: نصيحة الملوك، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٨م، ص ١٠٠.

^{٥٦} سورة النمل: ١٧.

^{٥٧} سورة ص: ٣٦-٣٧.

يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقاً يغوصون في البحر يخرجون منه الدر والمرجان^{٥٨}، وهذا يوضح لنا أن سليمان بما وهبه الله من نعمة إخضاع الإنس والجن له، واستخدامهم في بناء هيكله وقصره، قد جاء البناء في رونق وبهاء عظيم، وإن كان السيوطي أيضاً يؤكد أن البناء قد انهدم بعد أن بنى وأعيد بناؤه ثانية حيث أسسه على الماء^{٥٩} وبعد أن انتهى من البناء "زينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وأنواع الجواهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجدرانه وأركانه مما لا يرى مثله"^{٦٠}.

شرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا، حيث هيا له أبوه داود هذا المكان، فشرع في البناء في ثاني الشهر الثاني في السنة الرابعة لملكه^{٦١}، وتصف التوراة هذا البناء، سواء في سفر الملوك الأول أو سفر أخبار الأيام الثاني، ولتنقل التفاصيل الوافية من سفر الملوك الأول الذي يقول: "وكان في سنة الأربع مئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو، وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب، والبيت الذي بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً والرواق قدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت، وعرضه عشر أذرع قدام البيت، وعمل للبيت كرى مسقوفة مشبكة، وبنى مع حائط البيت طباق حوالية مع حيطان البيت، حول الهيكل والمحراب وعمل غرفات في مستديرها، فالتبقة السفلى عرضها خمس أذرع والوسطى عرضها ست أذرع والثالثة عرضها سبع أذرع، لأنه جعل للبيت حوالية من خارج أخصاماً لئلا تتمكن الجوائز في حيطان البيت، والبيت في بنائه بني بحجارة صحيحة مقلعة، ولم يسمع في البيت عند بنائه منحوت ولا معول ولا أداة من حديد، وكان باب الغرفة الوسطى في جانب البيت الأيمن، وكانوا يصعدون بدرج منعطف إلى الوسطى ومن الوسطى إلى الثالثة، فبنى البيت وأكماله وسقف البيت بألواح وجوائز من الأرز، وبنيت الغرفات على البيت كله سمكها خمس أذرع وتمكنت في البيت بخشب أرز وكان

^{٥٨} السيوطي: إتحاف الأخصا، ق ١، ص ١١٧.

^{٥٩} نفس المصدر: ص ١١٧.

^{٦٠} نفس المصدر: ص ١٢٠.

^{٦١} سفر أخبار الأيام الثاني ٣: ١-٢.

كلام الرب إلى سليمان قائلاً هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكت فى فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك بها فإنى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك، وأسكن فى وسط بنى إسرائيل ولا أترك شعبى إسرائيل، فبنى سليمان البيت وأكمّله وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه من الداخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذاعاً من مؤخرة البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله لأجل المحراب أى قدس الأقداس، وأربعون ذراعاً كانت البيت أى الهيكل الذى أمامه، وأرّز البيت من الداخل كان منقوراً على شكل قنّاء وبراعم زهور، الجميع أرز، لم يكن يرى حجر، وهياً محراباً فى وسط البيت من الداخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سمكاً، وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز، وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب، وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل بيت وكل المذبح الذى للمحراب غشاه بذهب وعمل فى المحراب كروبيم من خشب الزيتون علو الواحد عشر أذرع وخمس أذرع جناح الكروب الواحد، وخمس أذرع جناح الكروب الآخر، عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه، وعشر أذرع الكروب الآخر، قياس واحد وشكل واحد لكروبيين، علو الكروب الواحد عشر أذرع وكذا الكروب الآخر، وجعل الكروبيين فى وسط البيت الداخلى وبسطوا أجنحة الكروبيين فمس جناح الواحد الحائط وجناح الكروب الآخر مس الحائط الآخر، وكانت أجنحتهما فى وسط البيت يمس أحدهما الآخر، وغشى الكروبيين بذهب، وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج، وغشش أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج، وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون، الساكف والقائمتان خمسة، والمصراعان من خشب الزيتون، ورسم عليها نقش كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاهما بذهب، ورصع الكروبيم والنخيل والذهب، وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين من خشب السرو، المصراع الواحد دفتان تتطويان والمصراع الآخر دفتان تتطويان ونحت كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاهما بذهب مطرق على المنقوش، وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة وصفاً من جوائز الأرز،

فى السنة الرابعة أسس بيت الرب فى شهر زيو وفى السنة الحادية عشرة من شهر بول وهو الشهر الثامن أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه. فبناه فى سبع سنين.^{٦٢}

وكان سليمان قد جاء برجل من صور من سبط نفتالى يدعى حيرام، ماهر فى صنعة النحاس، فصنع له عمودين من النحاس "وأوقف العمودين فى رواق الهيكل، فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين، ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز"^{٦٣}، كما أن هذا الصانع عمل بحر الهيكل مسبوكة، وعمل قواعد عشر من النحاس ولها أتراس عليها أسود وثيران وكروبيم ولكل قاعدة أربع بكرات من النحاس، وعمل عشرة مراحض من نحاس، وجعل القواعد خمساً على جانب البيت الأيمن وخمساً على جانب البيت الأيسر، وصنع جميع هذه الآنية لبيت الرب من النحاس المصقول كما "عمل سليمان جميع آنية بيت الرب، المذبح من ذهب، والمائدة التى عليها خبز الوجوه من ذهب، والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص، والأزهار والسرر والملاقط من ذهب خالص والطسوس والمقاص والمناضج والصحون والمجامر من ذهب خالص، والوصل لمصاريح البيت الداخلى أى لقدس الأقداس ولأبواب البيت أى الهيكل من ذهب، وأكمل جميع العمل الذى عمله الملك سليمان لبيت الرب، وأدخل سليمان أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية، وجعلها فى خزائن بيت الرب"^{٦٤}.

بعد أن أتم سليمان البيت جمع شيوخ إسرائيل فى أورشليم "لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود. هى صهيون"^{٦٥} إلى أورشليم، واصعدوا مع التابوت خيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التى فى الخيمة، وسليمان وقومه يذبحون أمام التابوت من الغنم والبقر ما لا يحصى، حتى وضع التابوت فى محراب البيت فى قدس الأقداس، إلى تحت جناحى الكروبيين، وتذكر التوراة أنه "لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"^{٦٦}.

^{٦٢} سفر الملوك الأول ٦: ١-٣٨.

^{٦٣} سفر الملوك الأول ٧: ٢١.

^{٦٤} سفر الملوك الأول ٧: ٥١.

^{٦٥} سفر الملوك الأول: ٨: ١.

^{٦٦} سفر الملوك الأول: ٨: ٩.

وفى عهد سليمان بنى بيته فى ١٣ عاماً.^{٦٧} كما بنى كثيراً من الدور والقصور فاتسعت أورشليم فى عهده وازدهرت بعد أن أتم بناء الهيكل سنة ١٠٠٧ ق.م.^{٦٨} ويتضح من التفاصيل التى أوردتها التوراه عن المعبد، أنه كان على شكل مستطيل يتجه شرقاً، ويتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: البهو الأمامى وبه عمودان اسمهما "ياكين" و "بوعز"، ثم القاعدة الرئيسية التى تنيرها نوافذ عند السقف وفى الأخير يوجد قدس الأقداس على شكل غرفة مكعبة حول صخرة المذبح ليس بها نوافذ، وأن التابوت وضع بها بين أجنحة الكروبيم المرسومة فوقه.^{٦٩}

وقد جاء الهيكل بوجه عام على شكل خيمة الاجتماع، معبدهم الأول، وإن كانت مساحته ضعف مساحتها ومقاييسه ضعف مقاييسها، كما أن معالم الزينة فيه كانت أكثر بذخاً وفخامة وضخامة، وكان ثمة ضريبة سنوية مفروضة على اليهود مقدارها نصف شاقل (شيكل)، أى ما يساوى درهمين يدفعها كل يهودى لخدمة الهيكل، وقد ظل هذا الهيكل قائماً ومحتفظاً برونقه أكثر من ٤٠٠ عام.^{٧٠}

وقد ذكرت المصادر العربية هذا الهيكل بين الإيجاز والتفصيل والتحليل ، فقد أشار إليه الطبرى بقوله "وفى سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس"^{٧١}، بينما جاء ابن خلدون بوصف للهيكل مفصل يتفق مع ما جاء فى التوراه من حيث الضخامة والفخامة^{٧٢}، ويوضح السيوطى مشاركة الإنس والجن فى البناء حتى جاء فى أجمل زينة "مما لا يرى مثله"^{٧٣}، ولكن ابن كثير جاء بتحليل لأصل هذا البناء الذى يذكره بالمسجد، فيؤكد أن الذى بنى المسجد الأقصى هو يعقوب (إسرائيل) - عليه السلام - ويؤكد قوله بحديث للرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقول فى حديث عن أبى ذر الغفارى " قال: قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت:

^{٦٧} سفر الملوك الأول: ١:٧.

^{٦٨} فاروق عز الدين: القدس، ص ٢٠.

^{٦٩} أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج ١، ١٧٠، ١٧١.

^{٧٠} زكى شنودة: للمجتمع اليهودى، ص ١٧٩.

^{٧١} للطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٠٣.

^{٧٢} ابن خلدون: المعبر، ج ٢، ق ١، ص ٩٧، ٩٨.

^{٧٣} السيوطى: إتحاف الأخصا، ق ١، ص ١٢٠.

كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، قلت: ثم أى؟ قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد" ، وعلى هذا يؤكد أن يعقوب هو الذى بنى المسجد^{٧٤} ، ثم يقول نقلاً عن أهل الكتاب "أن سليمان - عليه السلام - غاب عن سريره أربعين يوماً ثم عاد إليه، ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكماً، وقد قدمنا أنه جدده وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام"^{٧٥} ، بل ويذهب السيوطى إلى أبعد من ذلك فى قوله "إن الأساس القديم الذى كان لبيت المقدس أسسه سام بن نوح، ثم بناه داود عليه السلام وسليمان على ذلك الأساس، وقيل أول من بناه وأرى موضعه يعقوب"^{٧٦}، وما قاله ابن كثير والسيوطى أنهى أحقية داود وسليمان فى تأسيس هذا البيت إذ اقتصر عملهما على إعادة تجديده عندما أصبح لهما مملكة، ليجعلا من هذا المكان قدسية خاصة بهم دون غيرهم، وهذا ما يتخذه بنو إسرائيل ذريعة محمومة للبحث والحفر عن هيكل اندثر، فيطمسون كل ما هو قائم من أجل ما قد فنى واندثر.

تدمير الهيكل

عندما تقدمت السن بسليمان، وخفت قبضته على أعناق بنى إسرائيل تمرّد عليه شعبه، وتطلّعوا إلى ملك جديد، فتآمر عليه ابنه يربعام Jeroboam ومعه كثير من شيوخ بنى إسرائيل، فقرر سليمان قتل ولده، لكنه فرّ إلى مصر، حتى توفى سليمان سنة ٩٣٥ ق.م. تقريباً واجتمع الشعب فى أورشليم ونصبوا رجبعام Rehoboam مكان أبيه ولكنهم اشترطوا عليه أن يرفع عن كواهلهم كثيراً مما فرض عليهم سليمان من قيود، فرفض، فما كان منهم إلا أن انحاز أغلبهم إلى أخيه يربعام، الذى عاد من مصر بعد موت أبيه، ولم يبق مع رجبعام سوى سبط يهوذا، وبذلك انقسمت الدولة إلى مملكتين متنازعتين إحداهما فى الشمال وتسمى إسرائيل وعاصمتها شكيم التى بناها يربعام، والثانية فى

^{٧٤} ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ١٦٢.

^{٧٥} نفس المصدر: ج٢، ص ٢٦.

^{٧٦} السيوطى: إتحاف الأخصا، ق ٢، ص ٨.

الجنوب وتسمى يهوذا وعاصمتها اورشليم وملكها رحبعام^{٧٧} ، حتى أن يربعام وقومه كفروا بإله يهوذا وعمل لهم عجلان ذهبيان وقال لقومه "هوذا آلهتك يا إسرائيل اللذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع حداً في بيت إيل (بالقرب من رام الله) وجعل الآخر في دان (في الجليل الأعلى)"^{٧٨}.

وفي مصر كان الليبيون قد استطاعوا الوصول إلى حكم مصر بانتقال تدريجي للعرش من أيدي الفرعنة إلى الضباط الأجانب الذين كانوا في الجيش، ليؤسس شيشنق Sheshonk (رئيس المشواس العظيم)، الأسرة ٢٢، وأخذ يسيطر نفوذ مصر على فلسطين، حتى جعل سيادته هناك فعلية بعد أن كانت اسمية، والظاهر أن سليمان الحكيم كان والياً وقتئذ تحت النفوذ المصري ويرجح أنه تزوج بكريمة فرعون، الذي أوسع له الأقاليم التي تحت إشرافه بضم مدينة جازر المهمة إليه.^{٧٩}

وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق (شيشق أو شيشاق) إلى اورشليم، مستغلاً في ذلك انقسام مملكة سليمان وضعفها^{٨٠} أو بليعاز من يربعام^{٨١} أو كما تفسر التوراة الهجوم على اورشليم "بأن رحبعام بعد أن ثبت ملكه ترك شريعة الرب"^{٨٢} لذلك جاء إليه شيشنق "بألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس، ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين، وأخذ المدينة الحصينة التي ليهوذا وأتى إلى اورشليم"^{٨٣} التي احتلها في حوالى سنة ٩٢٦ ق م^{٨٤}. وقد استباح بيت المقدس وضرب على أهلها الجزية^{٨٥}، فكان أول تدمير للهيكل الذي بناه سليمان، ووضع فيه التابوت

^{٧٧} سفر الملوك الأول ١١: ٤٠-٤٣، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥١٧، وانظر، عبد السلام عبده: قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنساني، اليهود واليهودية، عقيدة وتاريخاً، مطبعة لطفى، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٥٧، ١٥٨.

^{٧٨} سفر الملوك الأول ١٢: ٢٨-٢٩.

^{٧٩} برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة د. حسن كمال، مكتبة مديولى القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٣٥٨، ٣٥٧.

^{٨٠} السيوطى: إتحاف الأخصا، ق ٢ ص ١٩١.

^{٨١} عبد السلام عبده: قضية الدين، ص ١٥٩.

^{٨٢} سفر أخبار الأيام الثاني ١٢: ١.

^{٨٣} سفر أخبار الأيام الثاني ١٢: ٣-٤.

^{٨٤} برستد: تاريخ مصر، ص ٣٥٨.

^{٨٥} ابن خلدون: العبر، ج٢ ق ١، ص ١٠١.

المقدس^{٨٦} وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكل شيء، كما أخذ جميع الأتراس الذهب التي عملها سليمان، مما دفع رحبعام أن يعمل عوضاً عنها أتراساً نحاسية.^{٨٧}

فى عهد ملك أورشليم يهواش، عمل على ترميم البيت، لكن ملك آرام حزائيل عزم على التوجه لأخذ أورشليم، فما كان من يهواش إلا أن أخذ جميع الأقداس وكل الذهب الموجود "فى خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل ملك آرام فصعد عن أورشليم"^{٨٨} حتى إذا كان عهد أمصيا بن يهواش ملك يهوذا، هاجم ملك إسرائيل المسمى يهواش أورشليم وهدم سورها من باب أفرام إلى باب الزاوية بمسافة ٤٠٠ ذراع، وأخذ جميع الذهب والفضة والآنية الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن الملك وعاد إلى السامرة.^{٨٩}

فى السنة التاسعة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا، تصدى لملك إسرائيل منحيم بن جادى، الذى قرر الاستعانة بملك آشور "قول" فى مواجهة عزريا ولكى يضمن مساعدته قدم له ما يرضيه من الفضة، حيث فرض على قومه "خمسين شاقل فضة على كل رجل".^{٩٠}

وقد قادت دمشق تحالفاً سياسياً ضد الآشوريين، انضمت إليه دولتا أدوم وإسرائيل، اللتان كان يحكمهما "ققح بن رمليا" وقد تحالف الاثنان مع ملك آرام "رصين" ولم يبق خارج هذا التحالف سوى "أحاز" ملك يهوذا (٧٣٥-٧١٥ ق.م)^{٩١} وتقدم التحالف وحاصروا "أحاز"، لكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه، مما دفع "أحاز" إلى أن يرسل ملك آشور تجلات بلاسر الثالث (تغلث فلاسر)، ويقول له: "أنا عبدك وابنك، أصعد وخلصنى من يد ملك آرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين على"^{٩٢}، وكان على ملك يهوذا أن يقدم

^{٨٦} عبد السلام عبده: قضية الدين، ص ١٥٩.

^{٨٧} سفر الملوك الأول ١٤: ٢٦-٢٧.

^{٨٨} سفر الملوك الثانى ١٢: ١٨.

^{٨٩} سفر الملوك الثانى ١٤: ١٤، ابن خلدون: العبر، ج ٢، ق ١، ص ١٠٣.

^{٩٠} سفر الملوك الثانى ١٥: ٢٠، ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة.

^{٩١} Roux. G. Ancient Iraq (Penguin Books), 1980, P.285.

^{٩٢} سفر الملوك الثانى ١٦: ٧،

Cook, S.A.: Israel and the Neighbouring States, in CAH,III, Cambridge, 1965, P.363.

المقابل لتلك المساعدة، فلم يجد إلا خزائن بيت الرب وبيت الملك ليقدّمها لملك آشور كهدية^{٩٣}، وبالفعل استجاب ملك آشور، وتدخل سريعاً مما أنقذ أورشليم من السقوط في أيدي المهاجمين بل إن تجلات بلاسر الثالث توجه إلى دمشق وأخذها وقتل رصين.^{٩٤}

وقد أعاد الآشوريون تنظيم مملكة السامرة، على أنها إقليم آشوري وجاءوا إليها بالمستوطنين الذين تزوجوا مع السكان الأصليين، فظهر جنس جديد هم السامريون نسبة إلى عاصمتهم السامرة، كانوا قريبى الشبه مع جيرانهم اليهوديين دماً وثقافة، لكنهم مختلفون عنهم فى الميول السياسية.^{٩٥}

فى السنة الرابعة عشرة لملك يهوذا "حزقيا بن آحاز"، توجه "سنحاريب" (٧٠٤-٦٨١ ق.م) ملك آشور إلى أرض فلسطين، واستطاع قائله "ربشاتي" أن يحاصر أورشليم سنة ٧١٣ ق.م ويدك أسوارها^{٩٦} كما استولى على جميع مدن مملكة يهوذا، وهزم الجيش المصرى الذى كان يساندها^{٩٧} وفرض جزية كبيرة على حزقيا بلغت ٣٠٠ وزنة فضة و ٣٠ وزنة ذهب، ويبدو أن حزقيا لم يكن يملك كثيراً من الذهب ليقدّمه إلى سنحاريب، فلجأ إلى تجريد أبواب الهيكل ودعائمه من الذهب وقدمه إلى سنحاريب، فتقول التوراة "دفّع حزقيا جميع الفضة الموجودة فى بيت الرب وفى خزائن بين الملك، فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا، ودفعه لملك آشور".^{٩٨}

لم يستقر سنحاريب فى فلسطين، بل عاد سريعاً إلى وطنه، وتوضح التوراة تلك العودة بسبب إله إسرائيل " .. أن ملاك الرب خرج وضوب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً، ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثت ميتة، فانصرف سنحاريب

^{٩٣} سفر الملوك الثانى ١٦: ٨.

^{٩٤} Kraeling, E.G.: Aram and Israel, New York, 1918, PP.118-119.

^{٩٥} Roth , C.: A Short History of the Jewish People, London, 1969, PP.28-29.

^{٩٦} فاروق عز الدين: القدس، ص ٢١.

^{٩٧} حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ١٨٧، ١٨٨.

^{٩٨} سفر الملوك الثانى ١٨: ١٥-١٦.

ملك آشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى^{٩٩}، وهو نفس السبب الذي أخذ به الطبرى عندما يقول " واستطلع شعيا الرب فأخبره بموت جند سنحاريب إلا سنحاريب وخمسة من كتابه كان أحدهم بختنصر^{١٠٠} بينما ترجع المراجع الحديثة الأمر إلى فتك الطاعون بجند سنحاريب وربما كان هناك قلاقل واضطرابات في نينوى، دفعت سنحاريب إلى العودة إلى بلاده^{١٠١}.

في عهد نبوخذ نصر (نبوخذ ناصر أو بخت نصر أو بخت نصر أو نبوخذ راصر) (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)، ثار ملك يهوذا "يهوياقيم" Jehoiakim (٦٠٩-٥٩٨ ق.م) على سيده البابلي^{١٠٢} مما دفع نبوخذ نصر إلى التوجه إلى فلسطين، والقضاء على الثورة، وأخذ يهوياقيم عبداً عنده ثلاث سنوات ثم أعاده، فعاد ثانية إلى التمرد على سيده، ويبدو أن ما ترتب على المعركة التي دارت سنة ٦٠١ ق.م بين الجيش المصرى والجيش البابلي، من خسائر فادحة للطرفين، جعلت نبوخذ نصر ينسحب عائداً إلى بلاده، كما شجعت نتيجة المعركة يهوياقيم (يواقيم) على شق عصا الطاعة على بابل، وعدم دفع الجزية إليها، وتجديد التحالف مع مصر^{١٠٣}، لكن استطاع نبوخذ نصر القضاء على التمرد ثانية، ومات يهوياقيم، وجاء من بعده ولده "يهوياكين" Jeheiakim^{١٠٤} الذى تذكره المصادر العربية باسم "يواحين بن يوياقيم"^{١٠٥}، وقد وقع بمملكته تحت حصار نبوخذ نصر، فخرج إلى ملك بابل "هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيائه"^{١٠٦}، لكن هذا لم يشفع له، حيث أخذهم ملك بابل أسرى، كما سبى أهل أورشليم جميعاً، ولم يبق "إلا مساكين شعب الأرض"^{١٠٧}، وقد كان هذا الحصار فى سنة ٥٩٧ ق.م أيام الملك نيخاو ابن بسماتيك

^{٩٩} سفر الملوك الثانى ١٩: ٣٥-٣٦.

^{١٠٠} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٥.

^{١٠١} حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى، ج٢، ص ١٨٨، فاروق عز الدين: القدس، ص ٢١.

^{١٠٢} Malamat, A.: The Last Wars of the Kingdom of Judah. in JNES, 9, 1950, P. 223.

^{١٠٣} حسن السعدى: فى تاريخ الشرق الأدنى، ج٢، ص ٢٠٤.

^{١٠٤} Malamat: Op. Cit, P. 224.

^{١٠٥} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٦.

^{١٠٧} سفر الملوك الثانى ٢٤: ١٢.

الأول ملك مصر، الذي توفي عام ٦٠٩ ق.م، ويبدو أنه كان لنيخاو يد خفية في إيقاد الفتنة في فلسطين.^{١٠٨}

بعد أن استولى نبوخذ نصر على اورشليم وأسر ملكها، أخذ جميع ما في خزان بيت الرب وخزان بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان في هيكل الرب،^{١٠٩} كما جاء بعم الملك السابق واسمه "متتيا" وملكه على اورشليم بعد أن غير اسمه إلى "صدقيا" Zedekiah،^{١١٠} لكن صدقيا لم يكن وفيًا لملك بابل، فتمرد عليه، فزحف إليه نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ ق.م^{١١١} وحاصر اورشليم بأدوات الحصار والأبراج العالية، واستمر محاصراً لها مدة ثمانية عشر شهراً، وتعرضت خلالها المدينة لمجاعة قاسية وأخذ أهلها يفرون منها، كما فر الجنود اليهود، وفر صدقيا نفسه، ولكن جنود الملك البابلي أمسكوا به في أريحا، وأرسلوه إلى نبوخذ نصر في ريلة عبر نهر أورنت^{١١٢} فما كان من الملك البابلي إلا أن أمر بقتل "بنى صدقيا أمام عينيه، وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل".^{١١٣}

ثم أرسل نبوخذ نصر رئيس شرطته "نيو زرادان" إلى اورشليم فما كان من هذا القائد إلا أن أحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم، وهدم جميع أسوارها، وسبى جميع من بها، ودمر جميع أواني بيت الرب من القدور والرقوش والمقاص والصحون، وجميع الآنية من النحاس والذهب والفضة أخذها، وترك الهيكل خراباً خالياً، إلا من البعض القليل من يهوذا حيث أقام عليهم نبوخذ نصر رجلاً منهم هو "جدليا بن أخيقام بن شافان".^{١١٤}

^{١٠٨} سفر الملوك الثاني ١٥:٢٤.

^{١٠٩} برستد: تاريخ مصر، ص ٣٩٥.

^{١١٠} سفر الملوك الثاني ١٣:٢٤.

^{١١١} الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٦، وانظر، برستد: تاريخ مصر، ص ٣٩٥.

^{١١٢} حسن السعدى: في تاريخ الشرق الأدنى، ج ٢، ص ٢٠٥،

Malamat: The Last Wars, P.224, Cook: Israel, P.401.

^{١١٣} سفر الملوك الثاني ٧:٢٥، سفر ارميا ٦:٣٩-٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٥٣٦،

Noth, M.: The History of Isreal, London, 1965, P. 536.

^{١١٤} سفر الملوك الثاني، ٢٢:٢٥، عبد السلام عبده: قضية الدين، ص ١٥٩،

وتشير المصادر العربية إلى هذا السبى البابلى لليهود، والخراب الذى عانى منه الهيكل، والهوان الذى لحق على يد الملك البابلى نبوخذ نصر، الذى يذكره الطبرى باسم "بخرشة"^{١١٥}. وتتفق بعض المصادر العربية، فى أن سبب قدوم نبوخذ نصر إلى أورشليم هو قتل اليهود للنبي يحيى بن زكريا، ويذكرون فى ذلك رواية توضح أن دم يحيى عندما قتل "أصبح دمه يغلى، فلم يزل يلقى عليه التراب ويغلى إلى أن بلغ سور المدينة"^{١١٦} فحل غضب الله على اليهود، فأرسل عليهم نبوخذ نصر، فحكم فيهم "حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيوخ والعجائز ثم وطئهم بالخیل وهدم بيت المقدس، وساق الصبيان وأوقف النساء فى الأسواق حاسرات وقتل مقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق التوراة .. ودخل بخت نصر بجنوده بيت المقدس، ووطئ الشام كلها، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم"^{١١٧}. وهذا الغضب الإلهى على اليهود هو ما تؤكد التوراة فيما جاء فى أقوال إرميا " .. هأنذا أرسل فأخذ كل عشائر الشمال، يقول الرب" وإلى نبوخذ راصر عبدى ملك بابل وآتى بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل هذه الشعوب حواليتها فأحرمهم وأجعلهم دهشاً وصغيراً وخرباً أبدياً"^{١١٨}.

لكن بعض المصادر العربية تستبعد رواية دم يحيى بن زكريا وذلك لأن يحيى جاء بعد نبوخذ نصر بنحو ٤٠٠ سنة عندما ضرب الهيكل^{١١٩} ويبقى أنه كان على نبوخذ نصر أن يفرض سيطرته التامة على تلك الأراضى، التى تعانى دائماً من التمرد، كما أن مملكة يهوذا كانت تسعى دوماً للتحالف مع مصر لكى تحميها من أعدائها، فكان على الملك البابلى أن يتصدى لكل هذا حتى يحقق الاستقرار فى هذا الجزء من إمبراطوريته، فيضرب بيد من حديد على التمرد الدائم للقبائل اليهودية، ويشتتهم فى أنحاء دولته فيتفرق

Noth: Op. Cit, P.288, Cook: Op. Cit, PP.402.403.

^{١١٥} الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٣٦.

^{١١٦} الطبرى: نفس المصدر، ص٥٩١، ابن الجوزى " المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك " ، ج٢، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م ص١١.

^{١١٧} ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٣٨.

^{١١٨} سفر ارميا: ٩:٢٥.

^{١١٩} ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٣٩، السيوطى: إتحاف الأخصا، ق٢، ص١٥.

دمهم، وتضعف شوكتهم ويمحى إن استطاع عبادتهم، لذلك كان حرقه للمعبد وما يحويه من تابوت العهد، فضاع معبد سليمان ومعه البقية المفترض أنها باقية من التابوت، الذى كفت الروايات عن ذكره، بعد نقله إلى معبد سليمان، وكان قد أقيم فى مكان خفى من المعبد كهدف تقليدى خاص بالعبادة مع أنه لم يلعب دوراً هاماً فى العبادة العامة.^{١٢٠}

فى سنة ٥٣٨ ق.م استطاع قورش الملك الفارسى أن يحتل بلاد بابل^{١٢١} ثم سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم، كما سمح لهم بأخذ أوانيهم التى أخذها نبوخذ نصر، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل كما جاء فى سفر عزرا الإصحاح الأول، وكان الهيكل خرباً، حتى كان عهد قورش فأمر بإعادة بناء الهيكل^{١٢٢} فراح اليهود بقيادة "زربابل" يرممون ما بقى من الهيكل القديم ويستكملون ما تهدم منه، بيد أنهم ظلوا يتعثرون فى عملهم هذا بسبب إسرائيل أعداء يهوذا، الذين أرادوا المشاركة فى البناء لكنهم منعوا من المشاركة فأخذوا يكتبون الشكاوى لوقف هذا البناء بعد موت قورش سنة ٥٣٠ ق.م، ولم يبن من المعبد إلا أساساته، مما أدى لتعثر بناء الهيكل، حتى أنهم لم يتمكنوا من إتمامه إلا بعد نحو ٢٢ عاماً، أى فى نحو سنة ٥١٥ ق.م. فى عهد داريوس بن قورش، وجاء البناء الجديد أضخم من الأول، ولكنه كان أقل منه رونقاً وفخامة^{١٢٣} وبينما أعيدت بعض آنية المعبد الذهبية، فإن تابوت العهد كان قد اختفى، فظل مكانه فى قدس الأقداس خالياً.^{١٢٤}

دخلت أورشليم العهد اليونانى عندما احتلها المقدونيون سنة ٣٣٢ ق.م، وقد استقبلتهم المدينة بالرضا والارتياح، وأصبح اليهود طوع حكام اليونان حتى أنهم بنوا مذابح للآلهة اليونانية فى كل المدن اليهودية، بل وفى هيكل أورشليم ذاته وأحرقوا ما لديهم من أسفار التوراة، ونبذوا كل أحكام الشريعة اليهودية ومال أغلب اليهود إلى الهلينية، لكن حدث فى

¹²⁰ Noth: The History, PP.286,287.

^{١٢١} عبد السلام عبده: قضية الدين، ص ١٦٠.

^{١٢٢} ابن الجوزى: المنتظم، ج ٢، ص ١٣، السيوطى: إتحاف الأخصا، ق ١، ص ١٢٥.

^{١٢٣} راجع سفر عزرا، إصحاح ٤-٨، سفر حجى ١٨:٢، عبد الحميد زايد: القس الخالد، ص ١٠٠:٩٩، زكى شنودة:

المجتمع اليهودى، ص ٣١٦.

^{١٢٤} زكى شنودة: المرجع السابق، ص ١٨٠.

عام ١٦٩ ق.م أن سرقت الأواني المقدسة من المعبد، مما أثار الشغب في المدينة وأدى بانتيوخس إلى إرسال قوة ذبحت كثيراً من الأهالي وهدمت كثيراً من المباني^{١٢٥}.

ثم قدر لأورشليم أن تخضع للرومان، وعلى عهد يوليوس قيصر سنة ٤٩ ق.م، تنفس اليهود الصعداء، فأقام هركانوس الخشموني، حاكماً عليهم، ثم تولى هيرودس سنة ٣٧ ق.م، ملكاً على اليهود، وقد ثبت هذا الملك أقدام الرومان في البلاد^{١٢٦}، وكان هيكل زربابل قد بدأ يتصدع، وأصبح مهدداً بالسقوط، وكان هيرودس يريد أن يضيف على نفسه مجد سليمان كما كان يريد أن يتوحد إلى اليهود الذين كانوا يكرهونه ويرفضونه كملك عليهم فبدأ في نحو سنة ٢٠ ق.م في ترميم الهيكل وتوسيعه^{١٢٧} واستغرق ذلك ثمانى سنوات كما يرى ابن خلدون^{١٢٨}، وإن كانت المراجع الحديثة ترجح مدة بنائه في مدة ٤٦ سنة، فلم يتم إلا في عهد أغريباس الثانى حفيد هيرودس سنة ٦٦ م، وأصبح بعدها صرحاً ضخماً يحيط به ثلاثة أسوار شاهقة، وكان مكوناً من ساحتين كبيرتين إحداها خارجية والأخرى داخلية^{١٢٩}.

استخدم في بناء الهيكل الجديد مقادير عظيمة من الرخام الفاخر والفسيفساء الثمينة، والأخشاب العطرية النادرة، وقد وشيت جدرانه من الداخل بالذهب والفضة، وطعمت بالأحجار الكريمة، وكانت خزائن الهيكل تزخر بالأموال والكنوز والنفائس التى لا تقدر بثمن، بيد أن اليهود لم يلبثوا أن أحالوا هذا الهيكل الضخم إلى بناء قذر، إذ جعلوه سوقاً للبيع والشراء، فأصبح مكاناً للتجارة والمساومة بدلاً من الصلاة والعبادة، فلما رأى عيسى - عليه السلام - ذلك تألم " وقال لهم، مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه

^{١٢٥} عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ١١٠، فاروق عز الدين: القدس، ص ٢٣، زكى شنودة: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

^{١٢٦} عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، ص ١٢٢-١٢٥، فاروق عز الدين: القدس، ص ٢٤.

^{١٢٧} زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٨٠.

^{١٢٨} ابن خلدون: العبر، ج ٣، ق ١، ص ١٣٤.

^{١٢٩} زكى شنودة: المجتمع اليهودى، ص ١٨٠.

مغارة لصوص"١٣٠ ثم قال لتلاميذه نبوءة تحققت بعد ذلك "فقال لهم يسوع أما تتظنون جميع هذه. الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض".١٣١

فى عصر نيرون سنة ٦٦ م، تمرد اليهود فى أورشليم، حيث ثار الرعاع من اليهود الفقراء وهجموا على معبد أورشليم واستولوا عليه، مما اضطر الكهنة وعائلاتهم وهم الارستقراطيون، إلى الاختباء فى المغارات والسراديب خوفاً على حياتهم، وانتشر التمرد فى كل يهوذا فأرسل نيرون فى ربيع ٦٧م جيشاً بقيادة "فسباسيان" لإخماد التمرد جاء عن طريق سوريا فى الشمال، كما جاء جيش ثان من الجنوب قادماً من الإسكندرية بقيادة تاييتيوس (طيطس أو طيطش أو ططوس أو تيطس) ابن فسباسيان، ووصل مجموع القوات ٦٠ ألفاً، وحدث أن وقع صراع فى روما على السلطة انتهى باختيار فسباسيان امبراطوراً، وكان قد ترك ولده تاييتيوس لقيادة الجيش فى ديسمبر ٦٩م ١٣٢ فتوجه لمهاجمة أورشليم، وقد شارك الأقباط بفرقة من الجيش عدتها ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة ١٣٣. ونصب الرومان الحصار حول أورشليم ثم ضربها الجيش بقذائف الحجارة فكسر أبوابها، ولكنه فوجئ بأن بعض اليهود أنفسهم قد أشعلوا النيران داخل المعبد، ولم يتدخل الجند الرومان بل تركوا النيران وراحوا ينشرونها فى باقى أنحاء المدينة طمعاً فى مخازن الذهب والفضة، ثم قاموا بعد ذلك بحرق باقى مبانى المدينة وقتلوا أهلها، ومن لم يمت أصبح أسيراً وعبداً للرومان، وذلك فى سنة ٧٠م ١٣٤.

كان اليهود أنشاء ثورتهم، قد أحرقوا معبداً لإله الرومان الأكبر جوبيتر كابيتو لينوس Jupiter Capitolinus، فلما سقطت أورشليم فرض الرومان ضريبة على اليهود خصص عائدها للإله جوبيتر ومعبده عقاباً لليهود ١٣٥، وقد أدى سقوط المدينة وتدمير الهيكل إلى شتات اليهود فهاجرت كثير من الجماعات اليهودية إلى بلاد العرب الشمالية

١٣٠ إنجيل متى ٢١: ١٣.

١٣١ إنجيل متى ٢٤: ٢.

١٣٢ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج٢، ص ٨٧-٨٩.

١٣٣ عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٦٦.

١٣٤ أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج٢، ص ٨٩-٩٠.

١٣٥ نفتالى لويس: الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى، ترجمة د. السيد جاد، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٢٩، ٣٠.

والحجاز واستقرت في يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء^{١٣٦}، وأمر الإمبراطور هادريان بعد ذلك بهدم كل شيء في أورشليم، بل وسمى المدينة: إيليا كابيتولينا، كما أقام مكان الهيكل معبداً لجوبيتر، ومنع اليهود من دخول المدينة، وجعل عقوبة الإعدام لمن يقدم منهم على ذلك، ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوماً واحداً في السنة والوقوف على جدار بقى قائماً^{١٣٧} من حائط متهدم، يزعم اليهود أنه جزء من سور الهيكل وهو المعروف بحائط المبكى^{١٣٨} وهو حائط كبير مبنى من حجارة ضخمة طول بعضها ١٦ قدم، وأما الحائط فطوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً^{١٣٩}.

وقد ذكرت المصادر العربية ما أحاط بمدينة أورشليم على يد تاييتوس من خراب ودمار، فنجد الطبري يوضح ما فعله "ططويس بن اسفسيانوس" في بيت المقدس من سف وسبي، ويحتذى بنبوءة عيسى - عليه السلام - فيقول "حتى لم يترك بها حجر على حجر"^{١٤٠} مثلاً قال عيسى - عليه السلام - لتلاميذه. ويتناول ابن خلدون غزوة "طيّطس" بالتفصيل، موضحاً أن اليهود هم السبب الأول لما حدث، حيث كثرت فتهم داخل القدس، وكثرت الدماء التي سالت في الطرقات، مما أدى لزحف تاييتوس عليهم، فحاصرهم ودمر أسوارهم، وأحرق الهيكل ثم رحل بالغنائم والأموال والأسرى^{١٤١}.

خاتمة

مما لا شك فيه أن الاعتماد على المصادر الإسرائيلية وحدها في كتابة مثل هذا الموضوع وغيره، يؤدي إلى نقص الحقيقة التاريخية، ويقع بنا في دائرة الإسرائليات، وقد حذر ابن كثير من هذا الموضوع حيث قال "ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين هنا أثراً كثيراً كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها مثقاة من

^{١٣٦} عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٤٣٣.

^{١٣٧} السيوطي: إتحاف الأخصا، ق ٢، ص ١٩٢، ١٩٣.

^{١٣٨} زكي شنودة: المجتمع اليهودي، ص ١٨٢.

^{١٣٩} فاروق عز الدين: القدس، ص ٧٥.

^{١٤٠} الطبري: الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٨١.

^{١٤١} ابن خلدون: العبر، ج ٢، ق ١، ص ١٤٠.

الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك^{١٤٢}، وهذا ما وجدناه في احتذاء بعض المصادر العربية للنصوص التوراتية، مع إشارة المؤرخين المسلمين لذلك حرصاً على الأمانة التاريخية، وقد اندفعت المصادر العربية إلى النصوص والمصادر الإسرائيلية عندما كانت تعاني من نقص معلوماتي حاد خاصة في حياة الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم دون تفصيل، فكان توجههم إلى النصوص التوراتية مع ما في ذلك من خطورة.

ومن خلال هذا المبحث نجد أن اليهود قد نجحوا في الاستيلاء على أرض ييوس من أهلها، وأقاموا حكماً لهم في فترة ليست طويلة في عمر التاريخ واستطاعوا أن يحولوا خيمة الاجتماع - هيكلهم الأول - من مجرد خيمة إلى هيكل ضخم البناء فخم الهيئة بفضل إعداد داود وبناء سليمان له، إلا أنه لسوء تصرفات اليهود، وعدم قدرتهم على الخروج من القبيلة، انقسموا وتفرقوا وتقاتلوا وهان عليهم كل شيء حتى معبدهم، الذي كانوا يجردونه مما فيه ليقدموا ذهبه وفضته هدايا أو يسرقونها، فكان المصير المحتوم في توجيه الضربات إليهم على يد ششنيق ملك مصر، وعلى يد نبوخذ نصر ملك بابل، الذي دمر أورشليم، ومن بعده لم نعد نسمع عن تابوت العهد، حيث اختفى، وبعد تدمير تاييتيوس لأورشليم سنة ٧٠م لم يعد هناك أثر لمعبد سليمان، إذ تحققت نبوءة عيسى - عليه السلام - إذ لم يبق فيه حجر على حجر.

وخلال تاريخ الهيكل، قدر لبنى إسرائيل أن يذوقوا الشتات والسبي المتواصل، فاختلط الدم اليهودي بدم غيرهم من الشعوب في كل العصور، فلم يعودوا العنصر النقي، وخلال هذا الشتات أيضاً عبدوا الآلهة الوثنية للشعوب المجاورة أو التي احتلتهم مثل البعليم والعشتاروت وآلهة اليونان والرومان، فلم يعد لهم حق القول بأنهم "الزرع المقدس"^{١٤٣} أو أنهم "شعب الله المختار"^{١٤٤}.

^{١٤٢} ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص ٢٦.

^{١٤٣} سفر عزرا ٩: ٢٠.

^{١٤٤} سفر إشعياء ٤٣: ٢٠.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الكتاب المقدس.
- ٣- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي - ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
- ٤- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد - ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ٥- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي - ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٢، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- ٦- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان - ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ٧- السيوطي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق - ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م) : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق١، ق٢، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
- ٨- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير - ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك، ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٩م.
- ٩- المواردي (أبو الحسن) : نصيحة الملوك، تحقيق / فواد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية

- ١ - أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ٢، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢- السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.
- ٣- جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة د. حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.
- ٤- حسن محمد محيي الدين السعدى (دكتور): فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- ٥- زكى شنودة: المجتمع اليهودى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٦- سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمال (ت ١٢٠٤هـ): الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلائين للدقائق الخفية، ج١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
- ٧- عبد الحميد زايد (دكتور): القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- ٨- عبد السلام محمد عبده (دكتور): قضية الدين مع مسيرة الفكر الإنساني، اليهود واليهودية - عقيدة وتاريخاً، مطبعة لطفى، القاهرة، ١٩٧٩/٧٨م.
- ٩- فاروق محمد عز الدين (دكتور): القدس تاريخياً وجغرافياً، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.
- ١٠- نفتالى لويس (دكتورة): الحياة فى مصر تحت الحكم الرومانى، ترجمة د. السيد جاد، الإسكندرية ١٩٩٣م.
- 11- Cook, S.A.: Israel and the Neighboring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.
- 12- Kraeling, E.G.: Aram and Israel, New York, 1918.
- 13- Malamat, A.: The Last Wars of the Kingdom of Judah, In JNES, 9, 1950.
- 14- Noth, M.: The History of Israel, London, 1965.
- 15- Roth, C.: A Short History of the Jewish People, London, 1969.
- 16- Roux, G.: Ancient Iraq (Penguin Books), 1980.